

أضواء البيان

@ 56 لا تعبد الشيطان : أي باتباع ما يشرعه من الكفر والمعاصي ، مخالفاً لما شرعه

□ . .

وقال تعالى : { إِنَّ يَدْعُونَكَ مِنَ دُونِهِ إِلاَّ نِثَاءٌ وَإِنَّ يَدْعُونَكَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّزِيدًا } فقلوه : { وَإِنَّ يَدْعُونَكَ إِلاَّ شَيْطَانًا } يعني ما يعبدون إلا شيطاناً مزيداً . .

وقوله تعالى : { وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَأَنْتُمْ أَتَعْبُدُونَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مَنْ دُونَهُمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ } .

فقلوه تعالى : { بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ } أي يتبعون الشياطين ويطيعونهم فيما يشرعون ويزينون لهم ، من الكفر والمعاصي على أصح التفسيرين . .

والشيطان عالم بأن طاعتهم له المذكورة إشراك به كما صرح بذلك وتبرأ منهم في الآخرة ، كما نص □ عليه في سورة إبراهيم في قوله تعالى : { وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ } وَعَدَّكُمْ وَأَخْلَفْتُكُمْ { إلى قوله : { إِنَّ نِيَّ كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُم مِّن قَبْلُ } فقد اعترف بأنهم كانوا مشركين به من قبل أي في دار الدنيا ، ولم يكفر بشركهم ذلك إلا يوم القيامة . . وقد أوضح النبي صلى □ عليه وسلم هذا المعنى الذي بيننا في الحديث لما سأله عدي بن حاتم رضي □ عنه عن قوله : { اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُءُوسَهُمْ أَرْبَابًا } كيف اتخذوهم أرباباً ؟ وأجابه صلى □ عليه وسلم (أنهم أحلوا لهم ما حرم □ وحرموا عليهم ما أحل □ فاتبعوهم ، وبذلك الاتباع اتخذوهم أرباباً) . .

ومن أصح الأدلة في هذا أن الكفار إذا أحلوا شيئاً ، يعلمون أن □ حرمه وحرموا شيئاً يعلمون أن □ أحله ، فإنهم يزدادون كفراً جديداً بذلك ، مع كفرهم الأول ، وذلك في قوله تعالى : { إِنَّ زَمَّامَةَ النَّاسِ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ } إلى قوله : { وَاللَّهُ لَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } . .

وعلى كل حال فلا شك أن كل من أطاع غير □ ، في تشريع مخالف لما شرعه □ ، فقد أشرك به مع □ كما يدل لذلك قوله : { وَكَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكَاثِبِ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءُ لَهُمْ } فسماهم شركاء لما أطاعوهم في قتل الأولاد .

